الفصل الأول :دراسة ظاهرة التخلف الاقتصادي ونظرياتها

المحاضرة 01

سنحاول في هذا الفصل دراسة ظاهرة التخلف من خلال أسبابها ومؤشراتها مرورا إلى تفسيرها من خلال النظريات التي تجيب على سؤالين أساسيين:

- متى نشأت ظاهرة التخلف وما هي العوامل التي أدت إلى نشوئها؟
- لماذا استمرت ظاهرة التخلف عبر فترة ممتدة من الزمن؟

1- المقاربة النظرية في تفسير ظاهرة التخلف الاقتصادي:

تفسير ظاهرة التخلف تختلف من اقتصادي لآخر ذلك انه هناك من يعطي الأولوية لعامل على حساب عامل آخر، فمنهم من يعطي الأولوية إلى عوامل داخلية وآخر يعطي الأولوية إلى عوامل خارجية.

1-1- أسباب داخلية للتخلف الاقتصادي:

1-1-1- العامل البيئي:

يرى بعض الكتاب أن الأسباب الرئيسية للتخلف تكمن في الظروف المناخية المختلفة مستندين في ذلك على التوزيع الجغرافي للعالم حيث أن جميع الأقطار المتقدمة صناعيا تقع في المناطق معتدلة المناخ، بينما نجد اغلب البلدان المتخلفة واقعة في المنطقة الاستوائية أو في مناطق ذات مناخ قاري. فالظروف المناخية السيئة كشدة الحرارة والرطوبة ... تؤثر سلبا على صحة السكان وعلى نشاطهم الاقتصادي بسبب كثرة انتشار الامراض مما اثر على الحياة الاقتصادية وخاصة على الإنتاج الزراعي. في حين إن الظروف المناخية الملائمة تعمل على تسهيل وتعجيل عملية التقدم.

النقد: إن المعالجة السطحية السريعة لهذا العامل قد تعطي برهانا أكيدا لصالح هذه الفكرة فمما لاشك فيه إن المناخ يؤثر على الحياة الاقتصادية وخاصة على النشاط الزراعي ولكن ليست الظروف المناخية السبب الرئيسي في التخلف لأن خارطة العالم تشير بوضوح إلى وجود عدد كبير من البلدان المتخلفة التي تقع في مناطق ذات مناخ معتدل كدول حوض البحر الأبيض وبعض بلدان أمريكا اللاتينية.

كما إن دراسة التاريخ القديم تشير إلى إن عددا كبيرا من البلدان المصنفة اليوم تحت اسم دولة متخلفة، كانت في الماضي مهد الحضارات الإنسانية والتقدم في جميع مع العلم إن مناخ هذه الدول لم يتغير (الحضارة الفرعونية في وادي النيل، حضارات وادي الرافدين في العراق، الحضارة العربية في عصر الدولة الإسلامية...)، ولهذا ليس من المنطقي أن نورد سببا ثابتا للتخلف كالمناخ بالنسبة لاي بلد في الوقت الحاضر ولاسيما إذا كان هذا البلد في طليعة البلدان المتقدمة بالماضي.

بعض الاقتصاديون يرون إن قلة الثروات الطبيعية تساعد على التخلف ووفرته تساعد على التعجيل في عملية التقدم الاقتصادي للبلد. في حين إن الواقع ينفي ذلك فهناك كثير من البلدان المتخلفة التي تعتبر من اغنى بلدان العالم بثرواتها الطبيعية لكنها متخلفة كالجزائر، السعودية،....

كذلك عدم وجود المعادن وخاصة الفحم والحديد لم يحل دون التطور الصناعي لكثير من البلدان التي كانت فقيرة بثرواتها المعدنية كسويسرا، هولندا،... فقد اعتمدت هذه الدول على استيراد اغلب المواد الأولية اللازمة لتطوير صناعتها الوطنية من الخارج.

وعليه فان عدم أو قلة الثروات الطبيعية ولاسيما المعدنية لا تعتبر بحد ذاتها عقبة كبيرة أمام التطور الصناعي للدول النامية. وبالتالي لا يمكن اعتبارها سببا رئيسيا لتخلف هذه البلدان.

1-1-2-العامل الديني:

هناك فئة من الكتاب يفسرون الأسباب الرئيسية للتخلف بالمعتقدات الدينية ويوجهون ذلك إلى المجتمعات الإسلامية، فهناك عادات تسيطر على المجتمع مثل النظرة إلى الرجل المرأة، التعامل بالقروض ومعدل الفئة الربوي... فكيف يبنون الاستثمار في ظل غياب المصادر الذاتية؟ وعليه يعتبرون الدين كمعرقل للتنمية.

نقد: تعتبر هذه النظرة متحيزة نظرا لانكارها للدور التاريخي الواضح الذي لعبه الإسلام في نقل الحضارات القديمة كالحضارة اليونانية والرومانية إلى أوروبا خلال القرن 18 و 19. كما إن الإسلام دينا إيجابيا تقدميا يدعو الناس إلى التحرر، ويشجع المبادرة في المجالين الفكري والاقتصادي كبحثه عن العمل، وهذا الدين ساعد الامة العربية على إقامة حضارة قديمة يعرف لها التاريخ مثيلا. أما في الفترة التي ذهب فيها الناس بتفسيراتهم للدين الإسلامي نحو مفاهيم تتصف أحيانا بالاتكالية والحتمية(القدرية) التي مردها أن العالم الإسلامي دخل في عصر الركود والتدهور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

إذن المشكلة ليست في الدين في حد ذاته بل في تفسيراته وفهمه وممارساته.

1-1-3-العامل الثقافي والاجتماعي:

يرجع بعض الاقتصاديين التخلف إلى العامل الثقافي والاجتماعي ذلك إن تدني المستويات الثقافية والاجتماعية يؤدي إلى عرقلة فرص التنمية والتقدم، حيث أن هيمنة العادات والتقاليد والأعراف والقيم لعبت دور في اسر هاته المجتمعات وعدم السماح لها بالانطلاق إلى الامام، فقد أثرت على الإنفاق الاستهلاكي وعلى التوجه نحو الاستثمار والادخار. وقد يساعد التخلف الثقافي والاجتماعي على التوجه نحو المضاربة وشراء العقارات وممارسة النشاط التجاري ذي الربح والمردود الريعيين بدلا من التوجه نحو الاستثمار في الصناعة والتكنولوجيا، كذلك تؤثر على مدى توجه المراة نحو العمل والمشاركة في النشاطات المختلفة الأمر الذي ينعكس على الإنتاج والإنتاجية.

رغم أهمية العامل الثقافي والاجتماعي والنفسي في تفسير حالة التخلف إلا إن مثل هذه العوامل هي نتاج لحالة التخلف فالتخلف يلد التخلف من جيل لآخر نظرا للعلاقة القوية بين التخلف الثقافي والاجتماعي وبين التخلف الاقتصادي و لا يمكن أن تشكل سببا لها.

الأسباب الخارجية للتخلف

اغلبية الاقتصاديون في بلدان الجنوب يعتبرون إن الاستعمار هو السبب الرئيسي في تخلف هاته البلدان فهو لم يكتفي فقط باستنزاف طاقات وخيرات طبيعية وبشرية للبلدان المستعمرة بل الحق ضرر بالبنية الثقافية، الاجتماعية والاقتصادية لهاته الشعوب وشوهها هذا من ناحية.

من ناحية أخرى، وبالرجوع إلى تاريخ التطور الاقتصادي للعالم. نجد إن ظهور الثورة الصناعية وبتاثير ضغط الرأسمالية، وتنفيذا لمبدأ التقسيم الدولي للعمل وتطبيقا لمبدا حرية التجارة العالمية فان اقتصاديات البلدان المتخلفة قد وجهت بشكل معين يجعل منها اقتصاديات تابعة أو ملحقة للاقتصاديات المتقدمة، ومع مرور الزمن وحتى بعد حصولها على الاستقلال أصبحت اقتصاديات البلدان المتخلفة جزءا مكملا وتابعا لاقتصاديات البلدان الصناعية.

نقد: لقد حاول بعض الكتاب الغربيين الدفاع عن الاستعمار بحجة انه لم يقم على جر البلدان المتخلفة إلى التخلف والتأخر وإنما حالة التخلف التي تعاني منها هاته البلدان هي التي أدت إلى ظهور الاستعمار، أي إن البلدان المستعمرة لم تصبح هدفا للاستعمار لو لم تكن متخلفة، وعلى العكس الاستعمار هو من طورها بنسبة معينة تحقق لها مظاهر التقدم والتطور في ميادين الصناعة والتكنولوجيا. كما أن هناك بلدان لم تستعمر كاليمن والسعودية لكنها متخلفة، لهذا لا يمكن القول إن الاستعمار سببا رئيسيا للتخلف.

والواقع إن الاستعمار لا يمكن اعتباره أصلا أو سببا للتخلف الاقتصادي لكنه سببا في إطالة حالة التخلف وتعميقها عن طريق خلق مشاكل جديدة لهاته البلدان.

في الواقع، لا يمكن الفصل بين السبب الخارجي والداخلي فهما في علاقة جدلية، فسبب هيمنة وسيطرة العامل الخارجي هو مجموعة العوامل الداخلية فعندما تكون القاعدة الداخلية صلبة وقوية، التأثير السلبي للعامل الخارجي يضعف والعكس .